"حركة نياغارا" في الولايات المتحدة الامريكية: مقدماتها ، نشأتها، وعوامل انهيارها ١٨٩٥-١٩١٠

أ.م.د.كريم صبح عطية*

الخلاصة:

صاحب وجود الأقلية الزنجية في الولايات المتحدة الامريكية ظلم اجتماعي وحرمان سياسي واضطهاد اقتصادي، فشعر أفراد تلك الأقلية أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، وأن قبولهم بذلك يعني قبولهم باستمرار البيض في اضطهادهم الى ما لانهاية، فتبنت الأوساط المثقفة فيهم عملية تأطير رفضهم لذلك الظلم في اطار تنظيمي عبر عن نفسه في "حركة نياغارا" التي عدت أول منظمة قومية زنجية، الأمر الذي أضفى عليها أهمية من الناحيتين التأريخية والسياسية. وانطلاقا من الأهمية نفسها، اختيرت الحركة موضوعا لهذه الدراسة.

شملت الدراسة مقدمة وتمهيداً وخمسة مباحث.وقد تناول المبحث الأول منها مقدمات الحركة وعوامل تأسيسها، فتطرق الى أحوال الزنوج العامة، وظهور بعض الزعامات فيهم، سواء تلك الزعامات التي هادنت البيض أو الزعامات التي رفضت أحوال الزنوج السيئة وسعت الى تغييرها من خلال تأسيسها الحركة، فتناول المبحث الثاني مؤتمر الحركة التأسيسي والأهداف التي سعت الى تحقيقها، في حين تطرق المبحث الثالث الى نشاطاتها المتعددة وأهم عوامل الضعف فيها.

ودرس المبحث الرابع العوامل الذاتية والموضوعية التي أدت الى انهيار الحركة، في حين تضمن المبحث الخامس والأخير تقويما للحركة، أظهر ايجابياتها وسلبياتها على وفق منهج البحث التأريخي التحليلي.

المقدمة:

اشتملت الولايات المتحدة الأمريكية على أكثر من أقلية، ألفت جزءا مهما من تاريخها الاجتماعي الحديث والمعاصر، منها الأقليات الزنجية واليهودية واليابانية والايطالية والعربية. غير أن الأقلية الزنجية كانت أكثر تلك الأقليات عرضة الى الظلم والاضطهاد، والمعاملة القاسية والتمييز العنصري، والحرمان من الحقوق على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وعلى الرغم من أن الأكثرية البيضاء أعتقت – على مضض – أفراد الأقلية الزنجية من ربقة العبودية في العام ١٨٦٥، فإن أحوال أولئك الافراد ازدادت سوءاً، بسبب انتشار الأمية والجهل والفقر والعوز في صفوفهم بتأثير قرون من العبودية المقيتة، فحُرموا – بصفتهم أحرارا – من حقوقهم المدنية والسياسية، وعاشوا في ظل تفرقة عنصرية وتمييز عرقي تحت وطأة الشعور أنهم مواطنون من الدرجة الثانية بسبب لون بشرتهم الذي جعلهم عرضة حتى الى الشنق على يد البيض من غير محاكمة، مما ألقى على عاتق القلة القليلة من النخبة الزنجية مسؤولية التحرك ورفع صوت الاحتجاج على معاناة الزنوج، فجاء تأسيسها " **حركة نياغارا** "**(Niagara Movement)** ردا رياديا غير مسبوق وبداية تبلور حركة حقوق زنجية منظمة، الأمر الذي أوجب على هذه الدراسة البحث في مقدمات " **حركة نياغارا** " وعوامل نشأتها وأوجه نشاطاتها ومسوغات فشلها وانهيارها بصفتها أول منظمة قومية زنجية.

التمهيد:

بدأ تاريخ الزنوج في الأرض التي ستُعرف – فيما بعد- باسم الولايات المتحدة الأمريكية في العام ١٦١٩، بوصول سفينة حربية هولندية وعلى متنها عشرون زنجياً، بيعوا بصفتهم عبيدا الى سكان مستعمرة

* كلية التربية- **ابن رشد/** قسم التاريخ.

فرجينيا(**Virginia**)، أول مستعمرة انكليزية في العالم الجديد. وبعد حصول الولايات المتحدة الأمريكية على استقلالها من بريطانيا في العام ١٧٨٣، وتحديدا في العام ١٧٩٠، بلغ عدد الزنوج – العبيد قرابة ٧٠٠.٠٠٠ زنجي – عبد[١]، لم يعتقوا وأبناء جلدتهم ممن ولدوا على الأرض الأمريكية إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد أن بلغ عددهم قرابة ٤.٠٠٠.٠٠٠ زنجي، ارتفع الى قرابة ٩.٠٠٠.٠٠٠ زنجي في العام ١٩٠٠، من مجموع سكان البلاد، ومقداره ٧٦.٠٠٠.٠٠٠ نسمة[٢]. مع ذلك، ثبت أن العتق لم يكن – عمليا- شيئاً مهماً لأغلبية كبيرة جدا من تلك الملايين التسعة. إذ أفرغ من محتواه تماما، الى حد لن الأحوال السيئة التي رزحت تحتها الأقلية الزنجية بعد العتق لم تختلف كثيرا عن مثيلتها قبله، حتى بات القهر الاقتصادي والظلم الاجتماعي والاضطهاد السياسي على يد بيض الولايات المتحدة الأمريكية قرين وجود الأقلية الزنجية فيها؛ لتؤلف تفاصيل ذلك القهر والظلم والاضطهاد عوامل موضوعية وقفت وراء تأسيس حركة مثل " **حركة نياغارا** " (**Niagara Movement**)، أي تلك الحركة التي ثبت أن مؤسسيها كانوا من الزنوج الذين لم يطيقوا استمرار أي من ذلك القهر والظلم والاضطهاد.

أولاً: مقدمات الحركة وعوامل تأسيسها

١- أحوال الزنوج العامة

وُجِدَ مَن يقول إن ((**التعديلات الدستورية التي شرعت بين عامي ١٨٦٥ و١٨٧٠ بدت وكأنها ترمي الى جَعل السكان السود مواطنين أمريكيين متساوين في الحقوق**))[٣]. والقول صحيح وموضوعي تماما. فالتعديل الثالث عشر(**The Thirteenth Amendment**) – المصادق عليه في الثامن عشر من كانون الأول من العام ١٨٦٥- منح الزنوج حريتهم، بإلغائه الرق وممارسته في البلاد نهائيا[٤]. والتعديل الرابع عشر(**The Fourteenth Amendment**) – المصادق عليه في الثامن والعشرين من تموز من العام ١٨٦٨- عدّ الزنوج مواطنين أمريكيين، وألغى التمييز العنصري المفروض عليهم عند تحديد عدد النواب الذين يمثلون الولايات المختلفة في مجلس النواب[٥]، في حين حرم التعديل الخامس عشر (**The Fifteenth Amendment**) – الذي أُقر في الثلاثين من آذار من العام ١٨٧٠- على أية ولاية أمريكية أن تنكر على مواطن حق التصويت بسبب العرق أو اللون أو حالة استرقاق سابقة[٦]. ومع ذلك، لم يُنهِ إقرار التعديلات المذكورة معاناة الزنوج ولا المظالم المتعددة التي كانوا عرضة لها في المدة بين عامي ١٨٦٥ و١٩٠٥.

أقام جزء قليل من تسعة الملايين زنجي في الولايات الشمالية، في حين أقام تسعة أعشار ذلك العدد في الولايات الجنوبية، استوطن ثلاثة أرباعه في المناطق الريفية من الولايات الجنوبية؛ لأن النشاط الاقتصادي الرئيس قائم على الزراعة الواسعة، في حين بلغت الأمية بينهم ما نسبته ٤٤.٥%، واشتغلت أغلبية كبيرة منهم بأعمال وضيعة وقذرة وأكثرها صعوبة وأقلها أجرا، فكانت مهنتهم الرئيسة جمع القطن، ولذلك أمسوا ضحية نظام زراعي مهين لكرامة الانسان ذي فائدة اقتصادية قليلة، زيادة على أن كثيرا منهم عاش عيشة العبيد، بسبب الديون التي كانت تكبلهم بالأغلال[٧]، حتى مع الأخذ بالحسبان الرأي القائل إن ((**الولايات المتحدة الأمريكية قد أقامت أساس حياتها الاقتصادية والزراعة على كاهل الأقلية الزنجية التي نجحت في جعل الولايات المتحدة الأمريكية أكثر مناطق الانتاج الزراعي في العالم أهمية**))[٨]. فبات من الضرورة الأخذ بما أظهر أن سوء أحوال الزنوج في الولايات الجنوبية تعدى ضعفي نظيره في الولايات الشمالية لأسباب موضوعية. فقد وُجد من يقول: ((**هناك اقليم واحد يشكل الانفصال العنصري والتاريخي فيه مشكلة تسبب مشكلات أخرى ... فالجنوب يشبه مناطق الحدود المنكودة الحظ تاريخيا... إنه فقير ومتأخر ...**))[٩].

وبغض النظر عن الاختلاف في درجتها وشدتها وقسوتها وعدد ضحاياها، كانت معاناة الزنوج واضحة وموجودة في أنحاء البلاد جميعا، في الشمال كما في الجنوب، الأمر الذي يدعو الى الأخذ برأي فحواه أن البحث في أحوال الأقلية الزنجية يُظهر انه ((**ليس ثمة ما يماثلها تماما في التجربة التي عاشتها جماعات الأقليات الأخرى. إن الزنوج هم الغرباء الحقيقيون على الحياة الأمريكية، ومركزهم ليس مركز طائفة مقنَّعة، ولكنه بشكل سافر تقريباً مركز طائفة من المنبوذين، يعمل على ابقائها في حالة خضوع**

القانون والعرف الاجتماعي والارهاب والخوف، وهي في أسوأ حالاتها في الجنوب ولكنها حتى في الشمال لا تختلف كثيرا. إن مشكلة الزنوج هي ... أقبح وصمة في الضمير الأمريكي وأشدها ايلاما. وفي ضوء النظام الطبقي في أمريكا، فإنها تمثل الصروح الهرمية الطبقية في أعلى صورها وأشدها جمودا وصلابة، ولا تتسم بغير القليل مما في هذا النظام من المرونة والاحساس بالأمل))[١٠]، حتى قيل ان ما احتمله الزنوج من عذاب ومآسٍ ألَّف ((**المحك الرئيس لمدى قدرة المجتمع الأمريكي على دمج الفئات كلها في نسيجه. فعلى مدى مجمل التاريخ الطويل الذي مرت به الولايات المتحدة الأمريكية تعين على المواطنين السود – بعون قدمه لهم جزء محدود من السكان البيض – أن يكافحوا كفاحا مرا من أجل اقناع البيض أنهم ليسوا بضاعة تباع وتشترى في أسواق النخاسة، وليسوا بشرا من قيمة أدنى، بل هم مواطنون من مواطني هذا البلد))**[١١]. وعلى نحو أكثر تحديدا، ((**عامل البيض السود – في غضون مدة طويلة من الزمن – معاملة العبيد، الأمر الذي غرس في نفوس البيض شعورا بالتفوق العنصري عليهم؛ لتُعرف حقبة العبودية تلك بالاستغلال الاقتصادي الأقصى والاضطهاد السياسي الكامل، وباستباحة أعراض السود، وممارسة سحل وحرق من يتمرد منهم، بل حتى معاقبة البيض الذين تجرأوا على تعليم السود القراءة والكتابة))**[١٢].

وقُدِّر لزنجي أن يختصر أسباب معاناة أبناء جلدته بعبارة وجيزة وبليغة، عندما قال: ((**يقاسي الزنجي كثيرا في العمل، ويقاسي أكثر في البطالة. أما المرارة الكبرى التي يعانيها فهي ناتجة عن لونه الذي لم يكن له يد في اختياره، لونه الحالك مثل المحيط الذي يحيط به))**[١٣]. لذلك بدا مفهوما ومسوغا ما خلص اليه مؤرخ أمريكي مرموق، عندما كتب: ((**بقي لون البشرة عاملا حاسما في التوظيف والعمل في الولايات الجنوبية جميعها، وعلى صورة أخف من ذلك في الولايات الشمالية))**[١٤]، بل كان سببا مباشرا في ظهور " **التمييز العنصري " (Racial Discrimination)** المقيت. فبحسب قوانين أصدرتها الهيآت التشريعية في الولايات عُزل الزنوج عن البيض في وسائل النقل جميعا. ولم يسمح لهم بدخول الفنادق والمطاعم والمسارح والحدائق العامة نفسها مثل البيض، وفرض عليهم حضور مدارس منفصلة، واستخدام مراحيض ونافورات شرب الماء منفصلة في الأماكن العامة[١٥].

وعلى الصعيد السياسي، لوحظ ان العلاقات بين الزنوج والبيض كانت ((**في أسوأ حال. ففي الجنوب برزت حركة عامة لتقوية الاتجاهات المطالبة بتقييد حق الزنوج في التصويت العام. ولم يُكتف بذلك، إلى أخفت تلك الحركة تطالب بسلب الزنوج هذا الحق أصلا))**[١٦]. ويبدو أنها نجحت في ذلك فعلا. فقد أجمعت المصادر على أن الولايات الجنوبية جميعا عدلت قوانينها بما يضمن حرمان الزنوج من حق التصويت[١٧]، وهو ما يعني أن حرمان الزنوج من حقوقهم المدنية والسياسية قد اكتمل عمليا، في وقت استمر فيه اضطهادهم على صعد مختلفة، بل معاملتهم على نحو قاسٍ ووحشي غير مسبوق، بدليل الزيادة في أعداد الزنوج الذين أُعدموا على يد البيض المتطرفين حتى قبيل ان يقول القضاء كلمته في الاتهامات الموجهة اليهم. فقد أُعدم ٥٧ زنجيا في العام ١٨٩٥، و٨٦ زنجيا في العام ١٨٩٦، و١٢٣ زنجيا في العام ١٨٩٧، و١٠٢ زنجيا في العام ١٨٩٨، و٩٠ زنجيا في العام ١٨٩٩، و١٠٣ زنجي في العام ١٩٠٠[١٨]، أو ١١٥ زنجيا بحسب مصادر أخرى، و١٣٠ زنجيا في العام ١٩٠١[١٩]، الأمر الذي جعل من وجود زعامات زنجية اختارت مهادنة البيض واسترضاءهم في ظل أحوال رزح تحت وطأتها أبناء جلدتها سببا ثانيا مهما في قيام " **حركة نياغارا** "، لاسيما أن تلك الزعامات كان لها تأثيرها وحضورها الاجتماعي والسياسي الكبير بين الزنوج والبيض على السواء، الوصف الذي انطبق على زعامة بوكر ت. واشنطن (**Booker T.Washington**)(١٨٥٦-١٩١٥) تحديدا.

٢- زعامة واشنطن: مهادنة واسترضاء غير مقبولين:

يصعب تخيل الاحتكار الشامل الذي مارسه واشنطن على الزعامة الزنجية مدة ثلث قرن تقريبا. فلا هبات يقدمها البيض الى مؤسسات زنجية، ولا تعيين زنجي في منصب رسمي مهم، من غير التشاور معه أولاً. ويبدو انه اكتسب تلك المكانة بتأثير قوة شخصيته ومهارته في وضع منافسيه المحتملين في حجمهم الطبيعي. لكن السبب الأكثر أهمية هنا – حتى مع ملاحظة أنه كان عبدا في السابق – أنه أسمَع

البيض الجنوبيين والشماليين ما كانوا يريدون سماعه[٢٠]، بدليل ما ورد في كتابه " **نهوضا من العبودية** " (**Up from Slavery**) المنشور في العام ١٩٠١. فقد اشتمل الكتاب على نص الخطاب الذي ألقاه هو نفسه في افتتاح " **معرض اطلنطا**" (**Atlanta Exposition**) بولاية جورجيا (**Georgia**) في الثامن عشر من أيلول من العام ١٨٩٥، وحضره جمع غفير من الزنوج والبيض، وعدد كبير من مسؤولي الولاية، بمن فيهم حاكمها روفوز بولك(**Rufus Bullock**)(١٨٣٤- ١٩٠٧)، وجاء فيه: ((**إن ثلث السكان في الجنوب هم من العرق الزنجي ... ولا يبدو غريبا انه بسبب جهلنا وقلة تجربتنا أننا بدأنا السنين الأوائل من حياتنا الجديدة من القمة بدلا من أن نبدأها من القاعدة. فمقعد في الكونغرس كان يُلتمس أكثر مما تلتمس العقارات أو المهارة الصناعية، ومؤتمر سياسي كان أكثر جذبا من العمل اليومي في مزرعة. فأولى الآولئك الناس من عرقي ...: كونوا – بأية وسيلة – أصدقاء جميع الاعراق التي تحيط بنا ... إن الحكماء في أوساط شعبي يفهمون أن اثارة مسائل المساواة الاجتماعية هي حماقة شديدة... إنه أمر مهم وصحيح أن تكون جميع امتيازات القانون لنا، ولكن ما هو أكثر أهمية منه أن نكون مستعدين لممارسة تلك الامتيازات. ففرصة كسب دولار واحد في معمل هي – في الوقت الحاضر – أكثر من فرصة إنفاق دولار في دار الاوبرا ...**))[٢١].

ويفسر كون واشنطن قد تحدث بما أراد البيض سماعه ما تضمنه كتابه نفسه بشأن ما قوبل به الخطاب من ترحيب البيض واطراؤهم. فقد اندفع حاكم الولاية بولك الى واشنطن وأخذ بيده مهنئا اياه على مضمون خطابه، وكذلك فعل الحاضرون الآخرون، ونشرت الصحف في أنحاء البلاد جميعا الخطاب كاملا، والأكثر أهمية من ذلك أن الرئيس **غروفر كليفلاند**(**Grover Cleveland**) (١٨٣٧-١٩٠٨)(٤ آذار ١٨٨٥- ٤ آذار ١٨٨٩، ٤ آذار ١٨٩٣- ٤ آذار ١٨٩٧) بعث اليه برسالة في السادس من تشرين الأول من العام ١٨٩٥، جاء فيها: ((**أشكركم على الخطاب الذي ألقيتموه. لقد قرأته باهتمام شديد. وأعتقد أن المعرض معذور كليا اذا لم يكن قد فعل أكثر من اتاحة الفرصة لكم لالقائه ...**))[٢٢]، بل ما يثير الانتباه حقا أنه في الاحتفالات الكبيرة التي أقيمت في المدن الأمريكية الكبيرة احتفاءاً بانتهاء حرب العام ١٨٩٨ الأمريكية – الاسبانية[٢٣] وبانتصار الولايات المتحدة الأمريكية فيها، كان واشنطن الزعيم الزنجي الوحيد الذي سُمح له بالقاء خطابين في المناسبة، أحدهما القاه في السادس عشر من تشرين الأول من العام ١٨٩٨[٢٤]. وعلى نحو أكثر تحديدا، ((**أصبح واشنطن بطلا للبيض**))[٢٥]، وبلغ ذروة نفوذه في العام ١٩٠٥- أي العام الذي أسست فيه " **حركة نياغارا** " على النحو الذي سيشار اليه تفصيليا لاحقا – فقد قدم الى مسؤولين رفيعي المستوى، ومنح شهادات فخرية من جامعات عريقة، وعمل مستشارا سياسيا للرئيس **تيودور روزفلت**(**Theodore Roosevelt**)(١٨٥٨- ١٩١٩)(١٤ أيلول ١٩٠١- ٤ آذار ١٩٠٩)، وزاد رخاءً " **معهد تسكيجي** "(**Tuskegee Institute**) الصناعي الذي يرأسه ويديره في ولاية الباما(**Alabama**) بتأثير الهبات التي قدمها البيض، فوجب على مؤسسات تعليم الزنوج التي تطمع في عون البيض أن تسوي أمورها مع واشنطن أولاً. والأكثر أهمية من كل ذلك أن واشنطن أصبح – في نظر ملايين البيض – الناطق الوحيد الموثوق به بلسان الزنوج[٢٦].

والواضح أن التقدير الذي حظي به واشنطن من البيض يرتبط – الى حد كبير – بالسلطة التي آل بها ومارس دوره القيادي في أوساط بني جلدته على أساسها. فقد أظهر واشنطن أن السود بعيدون جدا عن نيل المساواة مع البيض، فحثهم على ما اسماه بـ: " **التحسين الذاتي** " (**Self - Improvement**)، أي تحسين أنفسهم اقتصاديا، قبل البحث عن مساواة اجتماعية أو سياسية، وقبل بالرأي الذي أبداه البيض، وهو أن معظم الزنوج آنذاك أميون وساذجون سياسيا وغير قادرين بعد على ممارسة حقوق المواطنة الأمريكية الكاملة. ولكنه جادل البيض بقوله ((**إنه بعد مدة تدريب معقولة في مدارس مثل معهد تسكيجي سيكون سود المستقبل مؤهلين للاندماج في المجتمع**)). فنظر اليه البيض على أنه المدافع عن التمييز العنصري وعن التعليم الصناعي، في حين رأى فيه السود، بعضهم في الأقل – قائدا يقول لهم إن المساواة ليست بعيدة جدا، وانهم اذا جهدوا من أجلها، فإنهم سيحصلون عليها. ((**كانت لعبة ذكية، وقد لعبها واشنطن جيدا. ولكن الثمن الذي دفعته المجتمعات السوداء كان غاليا. إذ إنه على الرغم من عمله من وراء الكواليس لتحقيق قبول السود سياسيا واجتماعيا، كان واشنطن يرفض حتى ان ينتقد أكثر أعمال**

العنصريين وحشية. وكان البيض الذين يستمعون اليه يفهمون منه أن السود قانعين بوضعهم وانهم يحرزون التقدم، مما يجعل مستمعيه ينتقلون الى موضوعات أخرى. ولكن أول شروط التغيير كان التعريف الحاد والملح بالظالم. وبسبب واشنطن فإن هذا المستوى من النقد لم يتحقق إلا مع نهاية القرن))[٢٧] التاسع عشر.

هكذا يبدو واضحا تماما أن واشنطن – بحثه الزنوج على التخلي عن أي اهتمام بالسلطة السياسية، والتخلي عن أي جهود لضمان حقوقهم السياسية – يكون قد أسهم في تعزيز وتقوية القوى التي كانت تميل الى حرمان الزنوج الكامل من حق الاقتراع، وانشاء النظام القانوني للعزل، زيادة على أن دعوته الى " **التحسين الذاتي** " قد عدت – في إذهان بعض الزنوج في الأقل – ارتباطا أبديا بالاستسلام المذل، و"**التكيف**"(**Accommodation**) و"**العم تومية**"(**Uncle Tomism**)[٢٨]. والأكثر أهمية هنا في سياق توافر الأساس الموضوعي لذلك النقد أن واشنطن ربط فكرة " **التحسين الذاتي** " بفكرة "**الخضوع**" (**Submission**)[٢٩]، وهو ما لم تحتمله قلة قليلة من الزنوج، وعُدَّت من النخبة في صفوفهم. فكان طبيعيا ألا تمضي زعامة واشنطن للزنوج من غير تحدي. فقد ارتفع صوت التذمر الزنجي على شفاه مجموعة من المناضلين النابهين من الزنوج الذين رفضوا الفكرة القائلة إن واشنطن يتحدث باسم الزنوج جميعا[٣٠].

وهكذا، صار على واشنطن مواجهة النقد المتنامي من الزنوج الأصغر سنا، الذين عدّوه استبداديا ضد الزنوج ومستسلما للبيض. ووجد أولئك الشبان قضية جيدة بين أيديهم. إذ إنه بحلول العام ١٩٠٠ كان قد مر جيل على تأييد واشنطن للفصل العنصري والتدريب الصناعي. ومع ذلك، كانت الأحوال في البلاد تزداد سوءا بالنسبة الى الزنوج. ولم يكن البيض يعدون الزنوج مساوين لهم، في وقت لم يكن هناك ما يستطيع الزنوج عمله حيال حقوقهم. وكانوا يعلقون من رقابهم ويشنقون. وأثبتت الدروس المستقاة من تجربة واشنطن نفسه أنها غير مجدية، فأصبح انتقاد واشنطن في السني الاولى من القرن العشرين واضحا وجليا وشديدا. وكان زعيم المنتقدين الدكتور **وليم ادوارد دوبوا** (**William Edward Du Bois**) (١٨٦٨-١٩٦٣)[٣١]، الأمر الذي كان يعني أنه قُدر لذلك الانتقاد أن يتحول – أخيرا – الى احتجاج بصوت مدو، لاسيما أن لدوبوا نفسه من الصفات والمزايا الشخصية، والفلسفة السياسية العميقة، ما جعله زعيما لذلك الاحتجاج وللأقلية الزنجية[٣٢] في الوقت نفسه.

٣- دوبوا وزعامة الاحتجاج والأقلية الزنجية

على العكس من واشنطن، لم يعرف دوبوا العبودية. فهو زنجي شمالي مولود لأسرة من ولاية **مساشوستس**(**Massachusetts**) ذات دماء فرنسية وهولندية من جهة والده، ودماء سوداء من جهة والدته. لم يعرف أباه أبدا، ونشأ في بلدة صغيرة بصفته طفلا ذي بشرة فاتحة وسط سكان بيض بالكامل تقريبا. ولم يعان أبدا ألم التفرقة العنصرية، وتلقى العلوم نفسها التي تلقاها الأطفال البيض، مبديا تفوقا دراسيا واضحا، أتاح له الحصول على تعليم عالٍ في **جامعة فيسك**(**Fisk University**) بولاية الباما **وجامعة هارفرد**(**Harvard University**). واذا كان واشنطن الزنجي الوحيد الذي سُمح له بمخاطبة البيض في العام ١٨٩٥، فإن دوبوا كان أول زنجي يحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة هارفرد في العام نفسه، الأمر الذي كان يعني انه ترعرع بأفكار أكثر شمولية وصراحة من واشنطن بشأن أهداف عرقه ومسؤوليات مجتمع البيض في منع التحامل والظلم[٣٣]. ولكنه لم يكن يمتلك – في البداية – تلك الرؤية للدور الذي سيؤديه العِرق في حياته. وهكذا، لأسباب تختلف عن الأسباب التي أثرت في واشنطن، أضفى دوبوا الطابع الذاتي على نوعية الحياة التي تعيشها الطبقة المتوسطة في ولاية مساشوستس. فقد طالب بتعليم جيد وظيفة مجزية ومساواة سياسية، مفترضا أن من حقه أن يمتلك تلك المزايا. ولكن عندما واجه المتاعب زاد غضبه كثيرا. فقد أدرك انه ليس مساويا لغيره حسب، بل أفضل وأكثر ذكاء وثقافة من البيض جميعا باستثناء مجموعة صغيرة منهم. وقادته احباطاته الى أقصى اليسار الأمريكي[٣٤].

لكي يستطيع التعامل مع تلك الخلفية المعقدة وجب عليه أن يبدأ أولا بالجنوب ليقف على طبيعة المشكلة. وبعد أن وجد أن العنصرية عميقة ومتعددة وشملت مناحي الحياة جميعا تقريبا هناك، عاد الى

مسقط رأسه. لكن الاحساس بازدواجية الارث لاحقه خلال سني دراسته في هارفرد. فقد بقي زنجيا منعزلا يدرك انه مختلف، ويخشى أن يكون عرضة للاجحاف ولا يرغب أن يواجه كل يوم حقيقة كونه غير قادر على الاعتماد على أحد ليعامله بصفته طالبا حسب. وهو نفسه وصف ذلك الشعور انه يشبه شعور ((**الابن السابع الذي يولد والنقاب يغطي وجهه، ويتمتع بموهبة التبصر في هذا العالم الأمريكي**))، معترفا أنه كان يشعر بشذوذ التجربة القائمة على رؤية الذات بعيون البيض: ((**فالمرء يشعر بازدواجية شخصية كأمريكي وأسود، وأن له روحين وفكرين وتطلعات لا يمكن التوفيق بينها، ومُثُلا متصارعة في جسد داكن تحول قوته العتيدة دون تمزقه إربا**))[٣٥].

والواضح أن معارضة دوبوا لواشنطن عبرت عن نفسها منذ وقت مبكر من بداية تجربة الأول السياسية، وأظهرت اختلافا جليا بين فلسفة الاثنين بشأن القضايا جميعا التي تهم الزنوج. فما ورد على لسان دوبوا في العام ١٨٩٨ أثبت وجود ذلك الاختلاف. فقد قال: ((**إن معارضتي لواشنطن استندت الى حقيقة أنه علّم الأطفال الزنوج استخدام وسائل معينة كانت قديمة ومهجورة في الوقت الذي أنهوا فيه مرحلتهم الدراسية**))[٣٦]. وقال أيضا: ((**جاء واشنطن ليعلم الزنوج كيف يكسبون رزقهم، وجئت انا لأعلمهم كيف يعيشون**))[٣٧]، بل إن ربط واشنطن فكرة " **التحسين الذاتي** " بفكرتي " **التكيف** " و" **الخضوع** " جعل صوت دوبوا يرتفع دفاعا عن فلسفة " **الاندماج من خلال توكيد الذات** " (**Assimilation Through Self- Assertion**). فقد قال: ((**بوساطة كل طريقة مسالمة ومتحضرة ينبغي أن نكافح للحصول على حقوقنا**))[٣٨]، تلك الحقوق التي أشار الى بعض منها في مقالة نشرها في العام ١٩٠٣، عنوانها " **ما يريده الرجل الأسود** " (**What the Black Man Wants**)، وجاءت في سياق كشفه بعض ما خسره الزنوج بسبب فلسفة واشنطن. فقد ورد في المقالة: ((**... إن الاقتراع، قبل أن يُنظر اليه على انه اشارة ظاهرة للحرية، يُعد – في الوقت الحاضر – الوسيلة الرئيسة في الحصول على الحرية نفسها ... كان هناك إدعاء أن الزنوج يتمكنون من البقاء على قيد الحياة عن طريق الخضوع وحده. وقد طلب السيد واشنطن من السود التخلي عن ثلاثة أمور في الأقل. الأمر الأول، السلطة السياسية، والأمر الثاني الاصرار على الحقوق المدنية، والأمر الثالث التعليم العالي للزنوج، وتركيز جهودهم جميعا على التعليم الصناعي وتجميع الثروة واسترضاء الجنوب. هذه السياسة دوفع عنها بشجاعة والحاح مدة خمسة عشر عاما. وكانت ناجحة مدة عشرسنوات. ولكن ماذا نجم عن تلك السياسة في المدة نفسها ؟ حدث ما يأتي:**

١- حرمان الزنوج من حق الاقتراع.
٢- الخلق القانوني لمرتبة الدونية المدنية للزنوج.
٣- التخلي الثابت عن تقديم المساعدات الى مؤسسات التعليم العالي الزنجية))[٣٩].

هكذا بدا واضحا أن معارضة دوبوا لواشنطن وفلسفته واعتداله قد اتخذت أخيرا – شكلا صريحا وثابتا وقويا، بدليل ما شهده العام ١٩٠٣ نفسه، وهو أن دوبوا نشر كتابه " **أرواح الشعب الأسود** "(**The Souls of Black Folk**) الذي قيل فيه إن ((**له تأثيرا في الزنوج في أمريكا وفيما بينهم أكثر من أي كتاب آخر نُشر في هذه البلاد منذ [رواية] كوخ العم توم**))[٤٠]. فقد شن دوبوا في كتابه هجوما لاذعا على واشنطن، لاسيما حثه الزنوج على القبول بالعزل العنصري وشق طريقهم في السُلّم الاقتصادي عن طريق تعلم مهنة. فقد رأى في كتابه أنّ لا فائدة ترجى للزنوج الأمريكيين في التضحية بالنمو الفكري في مقابل تدريب مهني ضيق. ولم يكن راغبا في تحمل وصمة العار المذلة المتأتية من النظام الطبقي في الجنوب. فالمستقبل الأفضل لا يأتي سوى من كفاح المواطنين الزنوج سياسيا للحصول على حقوق الاقتراع وحقوق المساواة. وبدلا من حثه الزنوج على دفع أنفسهم ببطء من القاعدة، دعا دوبوا مَن اسماهم " **العُشر الموهوب** " (**Talented Tenth**) – طليعة الزنوج المثقفين – الى ريادة الاحتجاج ضد العزل والحرمان من حق الاقتراع[٤١]. فرأى أن أفكار واشنطن تغرر بالزنوج وتخدعهم بعدم التحدث جهارا عن حقوقهم بصفتهم مواطنين، وانه من غير الصحيح أن بلدا يعتمد الديمقراطية ينكر على شعب حقوقه، مختلفا مع رأي واشنطن بشأن التدريب المهني للزنوج. فقد اعتقد أن الزنوج الموهوبين – مثل البيض الموهوبين – ينبغي أن

يحصلوا على أفضل تعليم ممكن في الأعراق جميعا. عندئذ سوف يصبح أولئك الزنوج الموهوبون زعماء في قيادة الزنوج[٤٢]. وبذلك يكون دوبوا قد ركز على المطالبة في المساواة في الحقوق، مهاجما فكرة واشنطن عن التعليم الصناعي، على أساس انه ((**ينبغي ألا تكون الثمرة النهائية لتعليمنا تخريج عالم نفسي ولابناء، إلى رجل. ولكي نصنع الرجال يجب أن يكون لنا مُثُل وأهداف للحياة عريضة نقية ملهمة**))[٤٣].

وفي الأحوال جميعها، يمكن القول إن الشكوك التي راودت دوبوا منذ زمن طويل، بشأن المبادئ التي آمن بها واشنطن، قدر لها أن تنشر على الملأ في كتاب " **أرواح الشعب الأسود** ". فقد اعترف فيه دوبوا بسطوة واشنطن ومنطق تركيزه على الأهداف الصناعية واسترضاء الجنوب والخضوع للتفرقة العنصرية. لكن الاسترضاء لم يكن أسلوبا مفيدا في التعامل مع جماهير غوغائية طالبت باعدام الزنوج. وأصر دوبوا – الذي عاش أفضل حياة تعليمية يمكن أن تتوافر في محيط أبيض – على أن " **العُشر الموهوب** " الأفضل من السكان الزنوج قادر على أن يفعل مثله هو نفسه. فالمساواة بالنسبة الى هذه النخبة ضرورية بحيث يمكن لجيل على هذا النحو من التدريب أن يتعامل مع بقية الشعب الزنجي. وهكذا يمكن لذلك العرق أن يرتقي الى مستوى البيض، مصرا على القول إن الزنوج ((**لا يتوقعون أن يتحقق لهم في غمضة عين حق التصويت والحقوق المدنية والتعليم، مثلما لا يتوقعون أن يروا انحياز واجحاف السنين وقد اختفيا مع نفخة بوق**)). لكنه لم يشك أبدا في أن ((**الطريقة التي يمكن لشعب ما من خلالها نيل حقوقه المعقولة لا تتم باهمالها طوعا والاصرار على انه غير مرغوب فيه**))، وأن على الزنوج أنفسهم أن يفهموا أن ((**عليهم أن يصروا باستمرار وفي كل وقت على أن التصويت ضروري للانسان المعاصر، وأن التفرقة على أساس لون البشرة تتسم بالوحشية، وأن أولاد السود بهم حاجة الى التعليم كما يحتاج اليه أولاد البيض**))[٤٤].

ترتبت على فلسفة دوبوا السياسية الصريحة والواضحة والمباشرة بعض النتائج المهمة، منها أن دوبوا ترك تأثيرا عميقا في الفكر السياسي الزنجي المعاصر[٤٥]. لكن الأكثر أهمية حتى من ذلك أنه ((**أصبح أهم زعيم ناطق بلسان عرقه في ذلك الجيل**))[٤٦]، الأمر الذي يعني أن العلاقة بين دوبوا وواشنطن كانت طبيعية في البداية ثم توترن بتأثير انتقادات الأول للثاني ثم تحولت أخيرا الى منافسة شديدة على زعامة الأقلية الزنجية؛ ليوضع في الحسبان في هذا السياق انه في صيف العام ١٩٠٣، عندما كان واشنطن يتحدث الى جمهور من ألفي شخص في احدى كنائس مدينة **بوسطن** (**Boston**) بولاية مساشوستس، أعد صديق دوبوا الحميم ونظيره أفكارا وفلسفة ومحرر صحيفة " **بوسطن غارديان** "(**Boston Guardian**) وليم مونرو تروتر (**William Monroe Trotter**)(١٨٧٢- ١٩٣٤)، الذي كثيرا ما هاجم في صحيفته أفكار واشنطن الوسطية، تسعة أسئلة استفزازية وعرضها على واشنطن، وهي تتعلق بقضايا الزنوج ومشكلاتهم، الأمر الذي أدى الى عراك بالأيدي بين مؤيدي تروتر ومؤيدي واشنطن، انتهى بإلقاء الشرطة القبض على تروتر وأحد أصدقائه. فزاد ذلك إحساس السخط الذي دفع دوبوا الى التفكير في انشاء حركة سياسية[٤٧].

والواضح أن مصداقية الآراء التي عبر عنها دوبوا ازدادت كثيرا، ولاسيما تلك الآراء المتعلقة بالمعاملة الوحشية التي يلقاها الزنوج على يد البيض في الجنوب، وأمست ظاهرة مخجلة سكت عنها واشنطن، في وقت تبين ان المسؤول التنفيذي الأول في البلاد، وهو من البيض بطبيعة الحال، قد أدانها علنا. فقد ظهر أن أحد أسباب نفور الجنوب من الرئيس روزفلت هجومه على الاعدامات، المرة الاولى التي يعبر فيها رئيس أمريكي بشكل موقف صريح وعلني عن ظاهرة تتعلق بطبيعة العلاقة بين البيض والزنوج، الى درجة أن صحيفة " **ذي نيشن** "(**The Nation**) أطرت في عددها الصادر في التاسع والعشرين من آب من العام ١٩٠٣ الرئيس روزفلت الذي رأت أن ما أثار قلقه هو شيوع الاعدام في الجنوب، الى درجة أنه استخدم ((**حقه في مخاطبة الأمة**))، فحوَّل منصبه الى " **منبر** "(**Pulpit**) للوعظ والارشاد[٤٨]. وفي وقت صمت فيه واشنطن تماما عن مظالم الزنوج، تحدث دوبوا عن تلك المظالم.ومرة أخرى تَجسَّد الأخيرة على لسان المسؤول التنفيذي الأول نفسه، من غير قصد. ففي التاسع والعشرين من تشرين الثاني من العام ١٩٠٤، أي بعد فوزه في الانتخابات الرئاسية، بعث الرئيس روزفلت رسالة مفتوحة الى أحد أصدقائه، جاء فيها: ((**المسألة الجنوبية ليست ذات تهديد فوري لكنها واحدة من المسائل المقلقة باستمرار. فقد أظهر**

الجنوبيون تشبثا بالرأي الخاطئ والعناد والحماقة. أتمنى أن أوافقك الرأي في أنه لا أحد في الجنوب يرغب في اعادة العبودية. ففي رأيي أن ذلك بعيدا جدا عن حقيقية أن هناك في هذا الوقت تحديدا حركة فاعلة لكن ناجحة جزئيا لإعادة العبودية في شكل سخرة في ثلاث ولايات جنوبية في الأقل))[٤٩].

وعلى وفق ذلك كله وبسببه، لم يكن بامكان دوبوا الاستمرار في مراقبة صمت واشنطن حيال مظالم الزنوج من غير أن يفعل شيئا. فقد عيل صبره، فانفجر غيظه الكبير في كانون الثاني من العام ١٩٠٥، عندما نشر مقالة في صحيفة " **فويس أوف ذي نجرو "(Voice of the Negro)** ، اتهم فيها بعض صحف الزنوج باستلام مبلغ ثلاثة آلاف دولار ثمنا لسكوتها عن استمرار واشنطن في سياسة الاسترضاء والوسطية حيال البيض، وان تلك الصحف تقاضت الثمن كي تمضي في هجومها على خصوم واشنطن[٥٠]. لكن الخطوة الأكثر أهمية هنا هي تلك الخطوة التي أشرت بداية انتقال دوبوا الى الجانب العملي في منافسة واشنطن على زعامة الأقلية الزنجية، الجانب الذي عبر عنه أحسن تعبير تأسيس دوبوا لحركة سياسية ذات برنامج واضح وشامل ومباشر، أقدر أن تحمل اسم " **حركة نياغارا** ".

ثانيا: " حركة نياغارا ": تأسيسها وأهدافها

١- مؤتمر الحركة التأسيسي

ليس في وسع أحدٍ الادعاء أن صوت الاحتجاج الزنجي ضد ظلم البيض لم يرتفع قبل العام ١٩٠٥، بدليل أن مجموعة من زنوج ولاية مساشوستس، أي تلك الولاية الشمالية الشرقية، اجتمعوا في مطلع العام ١٨٩٩، ورفعوا ما اسموها " **رسالة مفتوحة " (Open Letter)** الى الرئيس وليم مكنلي(**William Mckinley**) (١٨٤٣-١٩٠٦)(٤ آذار ١٨٩٧- ١٤ أيلول ١٩٠١)، جاء فيها: ((**نحن الملونين في مساشوستس، اجتمعنا للنظر في عمليات تضييق الخناق علينا ... وقد عزمنا على مخاطبة سيادتكم من خلال رسالة مفتوحة، على الرغم من صمتكم الغريب وغير المألوف بشأن الظلم الذي أصابنا... نخاطبكم في الوقت الحاضر ليس من باب الرجاء، بل كوننا أصحاب حق ومواطنين أمريكيين، يفرض عليكم منصبكم الاستماع لنا والتحدث الينا على وجه العدل والمساواة ... لقد عانينا يا سيدي – والرب يعلم مقدار تلك المعاناة – منذ تسنمكم لهذا المنصب، على يد بلاد تعترف أنها مسيحية، لكنها ليست مسيحية؛ ومن كراهية وقسوة شعب يدَّعي التحضر وهو ليس متحضرا. وقد شهدتَّ معاناتنا وما لحق بنا من مصائب ومظالم مريعة. وحتى اليوم لم تتفوه بكلمة واحدة بحقنا ولصالحنا في أية مناسبة وفي أي وقت من الأوقات. لماذا ؟ نحن نسأل . هل تلتزمون الصمت تجاهنا لأننا كنا مستعبَدين لأكثر من قرنين، استنادا الى قيود قاسية وضعها آبائك ....))**[٥١]، مثلما انه ليس في وسع أحد الادعاء ان ثمة نتيجة مباشرة وحاسمة لذلك الاحتجاج الذي عبرت عنه الرسالة نفسها أفضل تعبير. فحتى البرنامجين الانتخابيّين للحزبين الديمقراطي والجمهوري في انتخابات العام ١٩٠٤ الرئاسية لم يتضمنا سوى اقل القليل بشأن الزنوج، من غير عرض حلول ومعالجات لمظالمهم. فبرنامج الحزب الديمقراطي اكتفى بالاعتراف أن قضية العرق جلبت للبلاد مصائب لا عَدّ لها، وان اعادة احياء العرقية يعني ارباك البلاد وانهيار أعمالها، في حين اكتفى برنامج الحزب الجمهوري بالمطالبة في وضع نهاية للتمييز في الانتخابات[٥٢].

فلم يكن هناك صدى رسمي ولا شعبي للاحتجاج المذكور. لذلك ليس من ضرورة هنا حتى للوقوف مرة أخرى عند موقف الرئيس روزفلت بشأن شنق الزنوج. فالرئيس لم يعبر عن ذلك الموقف قبل الانتخابات، بل بعدها، وإلا لصار وجها لوجه مع الجنوب العنصري، ولغامر بفرصة اعادة انتخابه، أي إن موقفه لم ينطلق من ايمان بمبدأ، وإلا لعده التاريخ نصير الزنوج المظلومين وبطلهم. ولذلك لا يعزى الفضل اليه في انخفاض عدد الزنوج الذين أُعدموا من غير محاكمات قانونية الى ٨٠ زنجيا في العام ١٩٠٥. فالأصل هنا المبدأ، وهو استمرار تلك الظاهرة القاسية وغير الانسانية في التعامل مع فئة معينة من المواطنين الأمريكيين. واذا كان طبيعيا أن تقع اضطرابات عرقية في ولايتين في الأقل من الولايات الجنوبية، وهما **كارولينا الشمالية (North Carolina)** وجورجيا، راح ضحيتها بعض الزنوج، فإنه يبدو غير طبيعي أن تشهد ولايتان شماليتان في الأقل، وهما نيوريورك **والينوي(Illinois)**، الاضطرابات نفسها[٥٣]. وكان ضحاياها من الزنوج أيضا. ولذلك اكتسب مجرد انعقاد مؤتمر تأسيس حركة سياسية جاءت

ردا على ذلك كله في خارج الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من معنى، أكبرها أهمية معنى تطابق موقفي بيض شمال البلاد وجنوبها، وتطابق موقف أولئك البيض مع موقف واشنطن ومؤيديه، في محاربة دوبوا ومؤيديه وما يمثلونه من فلسفة واحتجاج بصوت مسموع.

وفي ضوء ذلك كله، كان مسوّغا ومفهوما أن دوبوا وجّه دعوة الى زعماء المجتمع الزنجي ونخبته، بمن فيهم رجال دين ومحامون ورجال أعمال ومحررو صحف، الى الاجتماع لتأسيس حركة سياسية هدفها كسر احتكار واشنطن للزعامة الزنجية، وانجاز حقوق الزنوج المدنية، وتطوير وسائل تحدي الاضطهاد الذي يواجهونه واسقاطه. وفي المدة بين ١١-١٣ تموز من العام ١٩٠٥ عقد الاجتماع في مدينة اونتاريو(**Ontario**) الكندية، بالقرب من " **شلالات نياغارا "(Niagara Falls)**، لأنه لا فندق في داخل الولايات المتحدة الأمريكية قبل استضافة الاجتماع؛ لذلك تبنى المجتمعون تأسيس حركة سياسية جديدة اقترن اسمها باسم تلك الشلالات، فأطلقوا على حركتهم اسم " **حركة نياغارا** "[٥٤].

وأثبت ذلك أن اجتماع – مؤتمر " **حركة نياغارا** " التأسيسي قد واجهته قيود التمييز المقيتة، برفض أي فندق أمريكي استضافته. والأكثر أهمية حتى من ذلك أن عدد الحضور فيه بلغ تسعة وعشرين شخصا فقط، في حين كان متوقعا أن يحضره عدد أكبر من ذلك بكثير. والسبب هو أن كثيرين ممن وُجّهت الدعوة اليهم لحضوره قد تراجعوا في اللحظة الأخيرة، بتحريض من أصدقاء واشنطن من البيض. وربما أسهم ذلك في جعل دوبوا على رأس تلك الحركة، بانتخابه سكرتيرا عاما لها، ولاسيما انه أسس – في العام ١٩٠٥- الزعيم الثاني في الأهمية بين الزنوج جميعا، بعد واشنطن بطبيعة الحال. ومع ذلك، أعلن المجتمعون – على نحو لم يفتقر الى دبلوماسية وبعد نظر – أنه ليس في نيتهم مهاجمة أفراد مثل واشنطن، لأنهم هم أنفسهم أيقنوا أنهم سيواجهون صعوبة كبيرة في كسب الرأي العام الأمريكي اذا بدا انهم يهاجمون واشنطن[٥٥].

بدا دوبوا نفسه مقتنعا بفكرة أن الحركة تستطيع القيام بنشاطاتها بفاعلية أكبر إذا كانت ذات تنظيم واضح ويسير. ويبيدو أن المجتمعين تبنوا فكرته، بدليل أن " اللجنة التنفيذية " (**Executive Committee**) للحركة ضمت رؤساء فروع الأخيرة في الولايات، وألّفت اللجان الاحدى عشرة الرئيسة الآتية: اللجنة المالية، لجنة الاحتياجات في داخل الولايات، لجنة التنظيم، لجنة الحقوق المدنية والسياسية، لجنة الدفاع القانوني، لجنة الجريمة، لجنة الاصلاح والانقاذ، لجنة الامكانيات الاقتصادية، لجنة الصحة، لجنة التعليم، ولجنة الدعاية والرأي العام[٥٦]، وهو أمر متوقع ومفهوم، لاسيما أن المجتمعين وضعوا لحركتهم أهدافا كثيرة وجب العمل الجدي على انجازها.

٢- أهداف الحركة:

تضمن " **اعلان مبادئ "(Declaration of Principles)** الحركة – الذي أقره المؤتمرون في اليوم الثالث والأخير من أعمال مؤتمرها التأسيسي – أهدافا متنوعة وشاملة، وُجد مَن قال بشأنها إنها كُتبت ((**بعبارات حادة وحاسمة**))[٥٧]. فقد أورد الاعلان تلك الأهداف على النحو الآتي:

((اجتمع أعضاء المؤتمر المعروفون باسم " حركة نياغارا " في اجتماع سنوي ... في الأيام الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من تموز ١٩٠٥، هنأوا فيه الزنوج الأمريكيين على البراهين الأكيدة بشأن تقدمهم في العقد الأخير، لاسيما في ازدياد نسب الذكاء، وشراء العقارات، والتوقف عن ارتكاب الجرائم، وانتعاش الحياة المنزلية، والتقدم في الآداب والفنون، واظهار القابلية الانسانية والتنفيذية في ادارة المؤسسات الدينية والاقتصادية والتعليمية الكبيرة.

في الوقت نفسه نؤمن بأن هذه الفئة من المواطنين الأمريكيين ينبغي أن تحتج – على نحو حازم ومستمر – ضد تقليص حقوقها السياسية. فنحن نؤمن بحق الاقتراع للرجل، وأن لا أحد صالح، ذكي أو غني الى حدٍ كافٍ، بحيث يُعهد اليه كليا رخاء جيرانه. ونحن نؤمن بالاحتجاج ضد تقليل حقوقنا المدنية. فالمواطنون الأمريكيون جميعا لديهم الحق في معاملة متساوية في أماكن التسلية العامة، استنادا الى سلوكهم واستحقاقهم.

نحن نشكو – على وجه التحديد – إنكار الفرص المتساوية لنا في الحياة الاقتصادية. وفي المناطق الريفية في الجنوب بلغ ذلك درجة السخرة والعبودية الفعليتين. وفي الجنوب كله هناك ميل الى سحق الأعمال ومشروعات العمل الصغيرة. وفي كل مكان من أمريكا المتحاملة، وفي الأغلب بمساعدة القوانين الجائرة، بات يصعب على الزنوج الأمريكيين الحصول على حياة كريمة ولائقة.

والمدارس العامة ينبغي أن تكون مجانية للأطفال الأمريكيين جميعا، وإلزامية، وأن تتاح مدارس التدريب المتقدم للجميع، وأن لا يُحتكر التعليم الجامعي من أية فئة او عرق في أي جزء من بلدنا المشترك. ونؤمن – في سياق دفاعنا عن مؤسساتنا التي تخصنا – بوجوب تقديم الولايات المتحدة المساعدة الى التعليم في المدارس العامة، لاسيما في الجنوب، ونوصي – **على نحو خاص** – بهياج منسق لتحقيق ذلك الهدف. ونحث على الزيادة في مرافق المدارس العامة العالية في الجنوب، حيث يفتقر الزنوج الأمريكيين كليا تقريبا الى تلك المرافق، ونفضل مدارس تقنية وتجارية مجهزة جيدا لتدريب الحرفيين.

نطالب بقضاة مستقيمين في المحاكم، وباختيار هيآت المحلفين من غير تمييز بسبب اللون. والاجراء نفسه بشأن العقوبة والجهود المبذولة للاصلاح المطبق على البيض ينبغي أن يطبق على السود. ونطالب بمدارس زراعية ودور أيتام للأطفال العالة، واصلاحيات للأحداث الجانحين.

... نتضرع الى الله أن هذه الأمة سوف لن تنحط الى جمهور من المتفاخرين والمضطهدين، بل ستعود الى مذهب الآباء المؤسسين، وهو أن الرجال جميعا خُلقوا متساوين، بحقوق غير قابلة للتصرف.

نحن ندعو الى الصحة: فرصة للعيش في منازل لائقة، فرصة لتربية أطفالنا في جو من النظافة، أخلاقيا وجسديا.

نحن نعرض التصرف اللعين لفئتين متضادتين من الرجال: الممارسة بين أصحاب العمل في جلب العمال الزنوج الأمريكيين الجهلة في أوقات الطوارئ، وبعد ذلك عدم تقديم الحماية لهم أو استخدامهم على نحو دائمي، وممارسة الاتحادات العمالية في حرمان ومقاطعة واضطهاد الألوف من زملائهم الكادحين، ببساطة بسبب كونهم سودا. هذه الوسائل سوف تثير حرب العمل ورأس المال. وهي مخزية للطرفين كليهما.

نرفض السماح باستمرار انطباع أن الزنوج الأمريكيين موافقون على الدونية. إنه خضوع في ظل الاضطهاد ... قد نكون خاضعين من خلال عجزنا. ولكن صوت عشرة ملايين أمريكي لا ينبغي أن يتوقف عن مهاجمة آذان زملائهم ما دامت أمريكا مجحفة وغير عادلة.

وأي تمييز يستند على العرق أو اللون هو تمييز وحشي وبربري. وليست لدينا كلمة احتجاج ضده سوى القول إن تمييزا يعتمد الخصوصية الجسدية، مكان الولادة، لون البشرة، هو بقية من تلك الوحشية غير المعقولة، التي يخجل منها العالم كله ...

نأسف لأن هذه الأمة لم تر مناسبا مكافأة الجنود السود الذين دافعوا عن بلادهم بدمائهم في ... حروبها ... ونعده تصرفا مجحفا ابعاد الشباب السود من مدارس التدريب العسكرية والبحرية.

ونحث الكونغرس على اصدار تشريع مناسب يضمن التنفيذ الصحيح لتلك الفقرات المتعلقة بالحرية، الواردة في التعديلات الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من دستور الولايات المتحدة.

كان العرق الزنجي في أمريكا عرضة الى السرقة والاضطهاد والاحباط، وكافح في غضون الصعوبات والاضطهاد. هو به حاجة الى التعاطف، لكنه يتلقى النقد. به حاجة الى المساعدة فيتلقى الاعاقة. به حاجة الى الحماية فيعطى عنف الغوغاء. به حاجة الى العدالة فيُمنح الصدقة. به حاجة الى القيادة فيمنح النذالة والجبن والاعتذار. به حاجة الى الخبز فيعطى الحجر. فهذه الأمة سوف لن تقيم العدل أمام الرب الى أن تغير تلك الأشياء...

في الوقت نفسه، نقر بالشكر الجزيل للمساعدة التي قدمها لنا اخوان في الانسانية منذ عتقنا من **الرق،** الذين لا يزالون يقفون اليوم من أجل فرصة متساوية، والذين بذلوا وما زالوا يبذلون من ثروتهم وحرمانهم من أجل تقدمنا.

وفي الوقت الذي نطالب فيه، ووجبت علينا المطالبة، وسوف نستمر في المطالبة بتلك الحقوق المذكورة آنفا، وجب علينا عدم نسيان الواجبات الملقاة على عاتق **شعبنا:**

واجب الاقتراع.
واجب احترام حقوق الآخرين.
واجب العمل.
واجب اطاعة القوانين.
واجب ارسال أطفالنا الى المدارس.
واجب احترام أنفسنا حتى عندما نحترم الآخرين.

نقدم هذا الاعلان الى العلي القدير والى الشعب الأمريكي))[٥٨].

وعلى وفق تلك الأهداف وُلدت ((**حركة نياغارا، أول منظمة قومية للزنوج تطالب بالمساواة في الحقوق المدنية مع بقية الأمريكيين بصلابة ومن غير مهادنة**))[٥٩]، فكانت لها نشاطاتها المتعددة بصفتها تلك.

ثالثا: نشاطات الحركة وعوامل الضعف فيها:

كان انتهاء أعمال المؤتمر التأسيسي ايذانا بالبدء في نشاطات الحركة. فبعد شهور قليلة أُلفت فروعها المحلية في أماكن مختلفة من البلاد. وعقدت تلك الفروع اجتماعات وضعت فيها برامج عملها، ولاسيما بعد أن ازداد عدد أعضاء الحركة من ٢٩ عضو في تموز الى ٥٤ عضواً في أيلول ثم الى ١٥٠ عضوا في أواخر العام ١٩٠٥. وعُدَّ هذا النمو بطيئا جدا بالقياس الى الأهداف الكبيرة العريضة التي قامت الحركة نفسها من أجل تحقيقها، حتى مع ملاحظة أن دوبوا نفسه أعلن ان مائة وخمسين عضوا عدد معقول جدا في العام ١٩٠٥، وانه اذا لم تتغير أحوال الزنوج تغييرا جذريا، فإنه ليس راغبا في رؤية الحركة تشتمل على أكثر من ٥٠٠ عضو. وفي نهاية العام نفسه، ذكر دوبوا – بصفته سكرتير الحركة العام – أن هناك فروعا محلية قوية في سبع عشرة ولاية، وأن هناك خططاً لانشاء ثلاثة عشر فرعا آخر، مع ملاحظة أن باكورة نشاطات تلك الفروع ما ذكره فرع ولاية نيويورك في أواخر العام نفسه بشأن الجهود التي بذلها في الولاية لالغاء حرمان الزنوج من حقوقهم السياسية[٦٠].

وعقدت الحركة مؤتمرها السنوي الثاني في مدينة " **هاربرز فيري" (Harpers Ferry)** بولاية فرجينيا الغربية**(West Virginia)** في آب من العام ١٩٠٦، كُتب بيانه الختامي بلغة واضحة وصريحة ومباشرة وحازمة، واشتمل على ما نصه: ((**نريد حق الانتخاب الكامل للرجال ونريده الآن ... نريد أن ينتهي التمييز في وسائل الراحة العامة ... ونطالب بتطبيق الدستور ... ونريد أن يتعلم أطفالنا ... فقد أعدنا بناء أنفسنا، شرفنا، وممتلكاتنا من أجل العتق النهائي للعرق ... نحن رجال، وسوف نُعامل بصفتنا رجال، وسوف نفوز**))[٦١]، اللغة التي ألفت دفعا قويا لنشاطات الحركة. ففي أواخر العام ١٩٠٦ نُشرت بعض نشاطات فروعها المحلية، منها نجاح فرع ولاية الينوي في تعيين عضو زنجي في لجنة مهمتها وضع ميثاق لا يسمح بالفصل بين التلاميذ البيض والزنوج في المدارس التي يمولها دافعوا الضرائب، في حين نشط الفرع نفسه عندما عرضت مسرحية " **الكلي "(Klansman)**[٦٢] على مسرح مدينة شيكاغو**(Chicago)**. فكلف أحد أعضائه بالاتصال بالنقاد الفنيين كي يتجاهلوها، في وقت أسهم فيه فرع ولاية مساشوستس في رفض مشروع قانون قُدّم الى الكونغرس، اشتمل على الفصل بين الزنوج والبيض في عربات السكك الحديدية، وفي وقت طلب فيه أعضاء في فرع ولاية كونكتيكت**(Connecticut)** من الجمهوريين المرشحين الى عضوية الكونغرس تأييد مطالبهم في تأليف لجنة تابعة للكونغرس تبحث مشكلة حق الزنوج في الانتخاب، مع ملاحظة أن أعضاء الفرع كانوا يأملون تثبيت عدم صلاحية قوانين التفرقة العنصرية عن طريق الاشراف على مسألة نقضها أمام المحاكم. فعندما فُرضت غرامة مالية على سيدة بيضاء تدعى بربارا بوب **(Barbara Bob)** لرفضها مغادرة عربة مخصصة للزنوج حين عبرت خط ولاية كونكتيكت الى داخل ولاية فرجينيا التي تطبق قوانين الفصل العنصري، تولى أعضاء الفرع قضيتها بنجاح. وأعلن دوبوا نفسه أن ستمائة دولار قد أنفقت في تلك

القضية، وان حركته مدينة بمائتين وأربعين دولارا منها، الأمر الذي أظهر تمسك قيادة الحركة الواضح بمبادئها وأهدافها. فبعد وقوع اضطرابات عنصرية في مدينة أطلنطا بولاية جورجيا تمسك واشنطن برأيه، وهو أن العناصر الجيدة من العرقين في تلك المدينة تعاونوا على المستويين الديني والتعليمي، في حين اتهم دوبوا البيض بتدبير تلك الاضطرابات، مشددا على القول إنه لا يمكن تلافي الاضطرابات إلا بقبول مبادئ " **حركة نياغارا** "[٦٣]، على الرغم من أن الأخيرة ونشاطاتها أمستا عرضة الى متاعب متعددة.

وبصفته سكرتير الحركة العام، كان دوبوا أكثر معرفة بحقيقة أن تجنيد الأعضاء لحركته بات **أصعب من** أي وقت مضى. ومع ذلك، إدعى انه على الرغم من ضغط واشنطن المستمر عليها بلغ عدد أعضائها ٣٨٠ عضوا، بحسب تقريره المؤرخ في الأول من نيسان من العام ١٩٠٧، مبديا رفضا صريحا للاستسلام لتلك الضغوط، بدليل أنه أسس مجلة شهرية اسماها " **الأفق "(Horizon)**، وان حركته استعدت لعقد مؤتمرها السنوي الثالث في العام نفسه. وفي هذا السياق، ارتأت زعامة الحركة عقد المؤتمر في مدينة " **هاربرز فيري** " المذكورة سابقا. لكن ميزانية " **معهد ستورا** " (**Stora Institute**) السنوية انخفضت بشكل كبير بين عامي ١٩٠٦ و١٩٠٧ لسبب كشفت عنه ادارة المعهد، وهو انه استضاف مؤتمر الحركة السنوي الثاني في العام ١٩٠٦، وهو ما يعني أن التبرعات قد منعت عنه، فأضطرت الحركة الى عقد مؤتمرها السنوي الثالث في مدينة بوسطن بولاية مساشوستس. وبحسب زعماء الحركة، شهدت احدى جلسات المؤتمر حضور أكثر من ٨٠٠ عضو. لكن تبين أنه لم يزد عدد الحاضرين يوما على ١٠٠ عضو، أي أقل حتى من أن يُسمح لهم بخفض أجور سفرهم بالسكك الحديدية، مع ملاحظة أن دوبوا نفسه اعترف ان المؤتمر كان((**أقل قوة**))، واعترف ايضا بوجود ما اسماها((**متاعب داخلية**))، في حين وصف أنصار واشنطن المؤتمر بأنه((**فشل كامل**))، فكان الاهتمام المحدود الذي أبدته الصحافة الزنجية بالمؤتمر دليل على عجز رجال الحركة من جهة، ونجاح واشنطن ونفوذه من جهة أخرى. ومع ذلك، عبّر المؤتمر عن مواقف مهمة. فقد انتقد الرئيس روزفلت بشأن ما ترتب على الاضطرابات العنصرية في مدينة براونزفيل(**Brownsville**) بولاية تكساس(**Texas**) الجنوبية. فقد اشترك جنود ثلاث فرق من فرق الزنوج في الاضطراب العنصري الذي وقع في المدينة، فاتهموا باطلاق النار، وحماية رفاقهم من الزنوج المشتركين في ذلك الاضطراب، فأمر الرئيس روزفلت بطردهم من الجيش طردا مهينا. ولم يُعادوا الى الخدمة إلا في العام ١٩٠٩. واذا كان بيان المؤتمر الختامي قد وصف بأنه ((**صرخة يأس أخيرة**))، وانه لم يختلف في لهجته عما أصدرته الحركة من بيانات في مؤتمري العام ١٩٠٥ و١٩٠٦، فإن بيان مؤتمر العام ١٩٠٧ كان أكثر أهمية؛ لأنه اشتمل على نصيحة سياسية ((**انصلة أظ صوحر إ نوج الشمل**))، واصفا الحزب الجمهوري بأنه ((**الديكتاتور الحالي**))، مطالبا الزنوج بالتصويت ضد مرشحه الرئاسي. ومع ذلك، كان المؤتمر نفسه ايذانا بنشوب خلاف كبير بين دوبوا وبعض زعامات الحركة، منهم تروتر. وعلى الرغم من أن دوبوا أعيد انتخابه سكرتيرا عاما للحركة، استمرت تلك الخلافات، فكانت – فيما بعد – عاملا مهما في الاسراع بانهيار الحركة[٦٤].

وبانطلاق حملة الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٠٨، دعم واشنطن مرشح الحزب الجمهوري **وليم هوارد تافت**(**William Howard Taft**) (١٨٥٧-١٩٣٠)، في حين طلب دوبوا من الزنوج عدم الاشتراك في الانتخابات. لكن في أذار من العام نفسه عاد دوبوا ليقول إن مرشح الحزب الديمقراطي **وليم جنينغز برايان** (**William Jennings Bryan**)(١٨٦٠-١٩٢٥) أفضل من مرشح الحزب الجمهوري، على أساس أن التفرقة العنصرية نمت وسادت في عهد الحزب الجمهوري. وزيادة على نشر الصحف الموالية لواشنطن التصريح الذي أعلن فيه تافت تأييده التعليم العالي للزنوج، وهو تصريح قيل فيه انه ((**كسر آخر ركيزة استند عليها دوبوا وجماعته**))[٦٥]، يلاحَظ أن تحول دوبوا الى الجناح التقدمي في الحزب الديمقراطي لم يجلب له سوى خيبة الأمل[٦٦]. فبرنامج الحزب الانتخابي لم يشتمل على أي شيء بشأن الزنوج وحقوقهم، في حين اشتمل برنامج الحزب الجمهوري على ما نصه: ((**إن الحزب الجمهوري ... هو الصديق الصدوق للزنجي الأمريكي ... نحن نطالب بعدالة متساوية ...، من غير النظر الى العرق أو اللون. ونستنكر كل ما قصد تجريد الزنجي من حقوقه المدنية لأسباب تتعلق باللون فقط؛ لكونه غير**

عادل وغير أمريكي ومخالف لقانون البلاد الأعلى))[٦٧] ،مع ملاحظة أن المرشح الجمهوري تافت هو الذي فاز في الانتخابات، الأمر الذي يعني تعزيزا لنفوذ واشنطن.

وفي ظل خلافات كبيرة في صفوفها، عقدت " **حركة نياغارا** " مؤتمرها السنوي الرابع في ولاية اوهايو في أيلول من العام ١٩٠٨، حتى إن الخلافات تفسر انه بين الـ٤٥٠ عضواً المسجلين في الحركة لم يحضر المؤتمر سوى ٥٠ عضوا، وفي تقديرات أخرى ١٩ عضوا فقط، فكشفت جلسات المؤتمر عن ضعف واضح في قيادة الحركة وفروعها على السواء. فتقرير مسؤول فرع ولاية **بنسلفانيا(Pennsylvania)** تحدث عن انشقاقات وفقدان اهتمام بين أعضاء الفرع، حتى إن الأخير فشل في اقناع سلطات الولاية التعليمية بإلغاء المدارس المنفصلة وبتعيين معلمين زنوج، فقرر عدد من أعضاء الفرع الانفصال عنه والعمل على نحو مستقل ومفاوضة تلك السلطات، في حين انشغل ذلك المسؤول بمهاجمة المنشقين، ليعترف التقرير نفسه أن الفرع كان مفلسا كليا. **ومع ذلك الضعف** في الحركة، هاجم بيان **المؤتمر الختامي ((... الذين نجحوا في أن يبعدوا كثيرا من الأكفاء عن مختلف جوانب الحياة الأمريكية))**، مطالبا الزنوج بالحصول على السلاح والاستعداد لحماية أنفسهم ممن اسماهم ((**الغوغاء البيض**)). ومع ذلك، تبين حتى لمنافس مثل واشنطن أن الحركة كانت ((**في لحظاتها الأخيرة**))، وانها ((**قد انتهت عمليا**))، فطلب من احدى صحف نيويورك نشر مرثية للحركة كتبها هو نفسه، لاسيما بعد أن وعدته صحف البيض بتجاهل المؤتمر كليا[٦٨].

وعندما عقدت الحركة مؤتمرها السنوي الخامس في مدينة " **سي ايل** " **(Sea Isle)** بولاية **نيوجرسي(New Jersey)** في آب من العام ١٩٠٩، كان كثيرا من فروعها قد هُجر، الى درجة أن كثيرين اندهشوا حين علموا أن واحدا من تلك الفروع عقد اجتماعات دورية منتظمة، في وقت لوحظ أن المؤتمر قد تجاهلته صحف البيض والزنوج على السواء، وأن عدد الحاضرين فيه لم يزد على أصابع اليد الواحدة، وفي وقت أبدى أعضاء موثوقين استعدادا للانسحاب من الحركة، لاسيما بعد بروز مشكلة تمويل نشاطاتها. فبحسب ما ورد في تقرير المؤتمر المؤرخ في الرابع عشر من آب من العام نفسه، لم تكن هناك أموال للاستمرار في النشاط القضائي، المشكلة نفسها التي فسرت انحدار مجلة " **الأفق** " الى نهايتها المتوقعة. فقد بلغ بها الحال درجة أن محرريها هم الذين كانوا يدفعون نفقات اصدارها من مواردهم المحدودة أصلا. وصعوبة استمرار الأمر على ذلك النحو فسرت توقف المجلة نهائيا عن الصدور في نيسان من العام ١٩١٠. ومع أن دوبوا نفسه كان راغبا جدا في استمرار حركته حتى انعقاد مؤتمرها السنوي السادس في العام ١٩١٠، فإنه وقف صاغرا أمام ما أبلغه إياه مسؤول اللجنة المالية في الحركة، وهو انه ((**لا جدوى من تخصيص أي جهد لميزانية الحركة**))، فكان ذلك ايذانا بنهاية الحركة، بدليل أنه عندما أُلفت " **الجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون** " **(National Association for the Advancement of Colored People)**[٦٩] في العام نفسه، لم يكتف دوبوا بالطلب من الأعضاء السابقين في حركته الانضمام الى الجمعية[٧٠]، بل انضم هو نفسه اليها، حتى مع ملاحظة أن مكانته وزعامته حُفظتا فيها تماما، على الرغم من اقتصار قيادتها على البيض فقط. فقد ((**أصبح دوبوا أهم رجل أسود في مجموعة متعددة الأعراق من التقدميين الذين أسسوا الجمعية**))[٧١]، بل ((**كان الأسود الوحيد في قيادة الجمعية**))[٧٢]، علما انه هو نفسه كان واحدا من أسباب انهيار " **حركة نياغارا** "، وهي أسباب متعددة وأمكن تأشيرها على وفق أهميتها وتأثيرها.

رابعا: عوامل انهيار الحركة:

لا يعزى انهيار الحركة الى عامل واحد، بل هناك عوامل متعددة ومترابطة أسهمت في ذلك، ولن اختلفت في مقدار ذلك الاسهام ودرجة تأثيره، ويمكن عرضها على النحو الآتي:

١- عانت الحركة من عدائية واشنطن منذ اليوم الأول لانبثاقها، فحاول معرفة كل شيء عنها ثم سعى في تحطيمها. ففي الحادي عشر من تموز من العام ١٩٠٥، أي في اليوم نفسه الذي أفتتح فيه مؤتمر الحركة التأسيسي، طلب واشنطن من بعض أنصاره تزويده بمعلومات وافية عن ذلك التطور، ثم اجتمع

مع بعض من مؤيديه من أقطاب الصحافة للاتفاق على برنامج عمل بشأن التعامل مع أعضاء الحركة، فكان هناك اقتراح بعزل مَن اشترك منهم فيها من وظيفته الحكومية، وعزلهم في الصحافة الزنجية. وتبين في هذا السياق ان واشنطن استخدم نفوذه الدعائي الكبير لاعادة توجيه الصحفيين الزنوج، حتى انه تبين أن الحركة ضعفت – فعلا – بتأثير الانتقادات التي وجهتها اليها الصحافة الزنجية التي كانت تحت سيطرة واشنطن الذي قدّم لبعض منها مِنح، وقدم لبعضها الآخر رشاوى، كي تقف الى جانبه في الصراع ضد سكرتير الحركة العام دوبوا على الزعامة الزنجية، الأمر الذي فسر العنف الذي غلب على الهجوم الذي شنه صحفيون زنوج على الحركة وقيادتها[٧٣]. ففي تعليقه على مؤتمر الحركة السنوي الثاني الذي عقد في آب من العام ١٩٠٦، ونشرته صحيفة " ايج " **(Age)** في عددها الصادر في الثلاثين من آب من العام نفسه، كتب الصحفي الزنجي كيلي ميلر(**Kelly Miller**)(١٨٦٣-١٩٣٩) أن بيان المؤتمر الختامي ليس ((**سوى صيحة عنيفة مجنونة**))، وأن دوبوا ومؤيديه ليسوا سوى ((**جماعة الحاقدين الذين تقتلهم الغيرة لنجاح واشنطن**))[٧٤]، مع أن معارضة واشنطن للحركة اشتملت على نتيجة أكثر أهمية حتى من ذلك. فقد حرمتها من دعم بعض البيض ذوي النفوذ والمتعاطفين معها[٧٥].

٢- كان واشنطن قبل كل شيء واقعيا، سياسيا تعامل بـ" **فن الممكن " (Art of the Possible)**. فجاءت برامج الحركة في المساواة العرقية بعيدة كل البعد عن المرحلة التاريخية التي كان واشنطن معبرا عنها. ودوبوا نفسه اعترف أن حركته لم تحقق شيئاً كثيرا، مشيرا الى ان الحرب التي شنها واشنطن على حركته كانت عاملا مهما في افتقارها الى النجاح. فقد انطلق واشنطن في حربه تلك من قاعدة قوية اشتملت على بعض الأصدقاء البيض ذوي النفوذ والأموال الطائلة والحماية السياسية، وجانب مهم جدا من صحافة البيض، في حين افتقرت الحركة الى الامكانيات المالية التي تضمن استمرارها واستمرار نشاطاتها. وقفزها على واقع المرحلة التي ظهرت فيها جعلها تفشل في اجتذاب كثير من الأثرياء البيض[٧٦].

٣- لم تكن شخصية دوبوا ونقص خبرته في العمل الاجتماعي في صالح حركته. فقد وصف بأنه " **ارستقراطي** "، وانه هو و" **العُشر الموهوب** " وحيدان ومعزولان بالنسبة الى الجماهير الزنجية. ودوبوا نفسه اعترف بوجود هذا ((**الميل الطبيعي الى الصمت والعزوف عن مواجهة الجماهير**)) في نفسه، في حين كان واشنطن سياسيا ودبلوماسيا ومناورا، ولم يكن دوبوا أي من أولئك.

٤- كان لدى النخبة التي ألفت الحركة مفهوم مقدس جدا للحقوق الانسانية. لكن عزلتها عن الجماهير انتزعت منها امكانية نقل تصورها هذا الى الجماهير التي كانت تبدي اهتماما قليلا بالسياسة. فكانت بيانات الحركة بلا معنى تقريبا بالنسبة الى العمال الزنوج مثلا. وعلى الرغم من أن دوبوا كان يردد دائما انه لا يمكن الفصل بين المشكلات الاقتصادية والسياسية، فإنه يوضع في الحسبان أن من أكبر أخطاء الحركة انها لم تبد سوى اهتماما قليلا بالتحرر الاقتصادي. فحق الانتخاب كان هدفها الرئيس الذي سحر عيون قادتها وأسر أفئدتهم[٧٧]، في وقت كان فيه الزنجي ضحية للحرمان والعوز والاستغلال الاقتصادي، الذي ارتقى احيانا الى حد السخرة.

٥- الواضح أن النزاعات الداخلية حطمت الحركة وأضعفتها كثيرا. وتصريحات بعض المتطرفين من أعضائها، مثل تروتر، هزتها وجعلتها تترنح، حتى إن أنصار واشنطن رأوا أن تطرف تروتر هو الذي ميز الحركة كلها، في وقت عجز فيه دوبوا عن كبح جماح تروتر[٧٨]، من غير أن يمنع ذلك من تأشير الجوانب السلبية والايجابية في تجربة ظهور الحركة في وقت عُدَّ – في نظر كثيرين – غير موات، من الناحيتين الاجتماعية والسياسية في الأقل.

خامسا: تقويم الحركة:

شمل تأسيس الحركة في ذلك " **الوقت غير المناسب** " **معاني** متعددة، يمكن ايجاز بعها على النحو الآتي:

١- عاشت الحركة مدة قصيرة نسبيا، وحققت القليل. و ذلك عُدت أول منظمة قومية للزنوج طالبت – على نحو صريح ومباشر – بالمساواة في الحقوق المدنية. فساعد أعضاؤها في تعليم الزنوج " **سياسة الاحتجاج** "، وفي إبلاغ البيض – على نحو صريح أيضا – أنه ليس الزنوج جميعا خاضعون وقانعون بالخنوع، بل بينهم من هو ساخط جدا على ذلك النوع القائم من العلاقات العرقية، فشقت الحركة طريقا أمام الشباب الزنوج ليسلكوه.

٢- لأعضاء الحركة الحق كله في ان يفخروا بما بذلوه من أجل التعليم العالي للزنوج، وبما قدموه في مزيد من التعويضات القانونية، وبجهدهم من أجل كيان سياسي يضم أعضاء واعين ومستقلين ومستنيرين، فتمكنوا من تقديم الاجابة على تهاون واشنطن، فساعدت حركتهم في ايجاد كيان صلب من الزنوج الذين رفضوا التهاون وهاجموا أنصار واشنطن واستسلامهم هجوما عنيفا. وفي غضون ذلك لم يحقق العرق الزنجي كله أية مكاسب على المدى القريب. لكن أعضاء الحركة تمكنوا من وضع حدود واضحة اهتدى بها كثير من الزنوج والبيض على السواء[٧٩].

٣- كان للحركة أهميتها في أنها عكست صورة للخلافات التي أخذت تزداد في داخل المجتمع الزنجي نفسه[٨٠] بشأن اكثر الوسائل ضمانا وسرعة ونجاحا في تحقيق تطلعات ذلك المجتمع الى المساواة والحقوق المدنية والسياسية.

٤- بظهور " **حركة نياغارا** " ظهرت أول مرة فئة أصيلة ذات فكر متحرر، تُعد نفسها على مستوى وطني لتنظيم عمليات التذمر والسعي من أجل التغيير الاجتماعي.

٥- اكتسبت الحركة أهميتها من أنها ابتكرت طرائق بديلة لسيطرة الفرد الواحد من جانب واشنطن، ومن أنأنها سوَّغت المبادرة لتأسيس " **الجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون** "[٨١]، التي عدت مرحلة جديدة في نضال الزنوج وفي زعامة دوبوا، وتقع في خارج الاطار الزمني لهذه الدراسة.

هوامش البحث:

(١) اينا كورين براون، تاريخ الزنوج في أمريكا، ترجمة م. عيسى، القاهرة، ١٩٥٧، ص١٧.

(2) " Historical Statistics of the United States. Colonial Times to 1970 ", Part 1, U.S.Department of Commerce, Bureau of the Census, Washington, D.C., 1975, P.14.

(٣) اميل هوبنر، النظام السياسي في الولايات المتحدة الامريكية، ترجمة عدنان عباس علي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ٢٠٠٩، ص٣٤.

(٤) " دستور الولايات المتحدة ووثائق تاريخية اخرى "، مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات والتبادل التجاري، القاهرة، ١٩٥١، ص٤٤.

(5) " Documentary History of Reconstrction, Political, Military, Social, Religious, Educational and Industrial, 1865-1906, Selected and Edited by Walter L. Fleming, New York, 1966, The Fourteenth Amendment, July 28, 1868, P.478; " Documents of American History ", Eited by Henry Steele Commager, New York, 1949, The Fourteenth Amendment, July 28, 1868, Document No. 272, P.51.

(6) " Speechs and Documents in American History ", Vol. III, 1865-1913, Edited by Robert Birley, New York, 1951, The Fifteenth Amendment, March 30, 1870, Document No. 24, P.91.

(٧) فردريك لويس آلن، التطور الكبير. نصف قرن من الحياة الأمريكية، ترجمة عبد المنعم البيه، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٦، ص١٧١-١٧٢.

(٨) حمدي حافظ، الملونون في الولايات المتحدة الأمريكية، د.م، د.ت، ص٧.

(٩) د. و. بروجان، الشخصية الأمريكية. تكوينها ومقوماتها، ترجمة زهدي جار الله، بيروت- نيويورك، ١٩٦٤، ص١٨٣.
(١٠) ماكس ليرنر، أمريكا كحضارة. الفكر والحياة في الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء الثاني، ترجمة راشد البراوي، القاهرة، ١٩٦٦، ص٧٧٤.
(١١) اميل هوبنر، المصدر السابق، ص٣٢-٣٣.
(١٢) سمير التنير، أمريكا من الداخل. حروب من أجل النفط، بيروت، ٢٠١٠، ص٣٠.
(١٣) فلاديمير بوزنر، .U.S.A بلاد الحريات المزيفة، ترجمة عبد الله شعيتو، بيروت، ١٩٥٢، ص٣٣.
(١٤) إريك لنكولن، المسلمون الزنوج في أمريكا، ترجمة عمر الديراوي، بيروت، ١٩٦٤، ص١٥.
(15) Henry N.Drewry and Thomas H. O'Conor, America is, Ohio, 1987, P.420.
(١٦) إريك لنكولن، المصدر السابق، ص١٥.
(١٧) ستوكلي كارمايكل وشارلز ف. هاملتون، سياسة التحرير في أمريكا، ترجمة ناجي علوش، بيروت، ١٩٦٧، ص١٤٤؛

Dennis J.Palumbo, American Politics, New York, 1973, P.82.

(18) "The Annals of America", Vol. 12, 1895-1904, Populism, Imperialism and Reform, Chicago, 1968, P.423.

(١٩) فردريك لويس آلن، المصدر السابق، ص١٧٢.

(20) Charles E.Silberman, Crisis in Black and White, New York, 1964, P.125.
(21) Booker T.Washington,Up from Slavery, New York, 1986, PP.218-224.
(22) Ibid, PP.225, 227.

(٢٣) للتفصيل عن تلك الحرب، تنظر: ميثاق شيال زوره، الحرب الاسبانية- الامريكية ١٨٩٨-١٩٠٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد- جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
(24) Booker T.Washington, Op. Cit., P.227.
(25) Charles E.Silberman, Op. Cit., P.128.

(٢٦) اليوت م. ردفيك، وليم ادوارد دوبوا. دراسة في قيادة جماعة الأقلية، ترجمة فاروق عبد القادر، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٠٩-١١٠.
(٢٧) روبرت م. كروندن، موجز تاريخ الثقافة الأمريكية، ترجمة مازن حماد، عمان، ١٩٩٥، ص٢٧٠-٢٧١.
(٢٨) نسبة الى رواية هارييت بيتشر ستاو(**Harriet Beecher Stowe**) " **كوخ العم توم** " (**Uncle Tom's Cabin**) المنشورة في العام ١٨٥٢، وتروي مأساة عبد أسود مملوك لأسرة من البيض. للتفصيل تنظر: هارييت بيتشر ستاو، كوخ العم توم، دار أسامة، دمشق، ٢٠٠٦.
(29) Charles E.Silberman, Op. Cit., PP.125, 128-129.

(٣٠) هيود بيرنز، أصوات احتجاج الزنوج في أمريكا، ترجمة محمد سعيد النعناعي، القاهرة، ١٩٦٨، ص٢٧.
(٣١) روبرت م. كروندن، المصدر السابق، ص٢٧٢.
(٣٢) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٥١.

(33) Alan Brinkley, American History . A Survey, Vol. II, Since 1865, Tenth Edition, New York, 1999, P.737.

(٣٤) روبرت م. كروندن، المصدر السابق، ص٢٧٢.
(٣٥) المصدر نفسه، ص٢٧٣-٢٧٤.
(36) Charles E.Silberman, Op. Cit., P.129.

(٣٧) ستوكلي كارمايكل وشارلز ف. هاملتون، المصدر السابق، ص١٤٥.

(38) Charles E.Silberman, Op. Cit., P.129.
(39) " The Annals of America, 1903" , P.527.

(٤٠) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص٨٤.

(41) James West Davidson and Others, Nation of Nations, A Concise Narrative of the American Republic, Fourth Edition, New York, 2002, P.629.
(42) Henry N.Drewry and Thomas H.O'Conor, Op. Cit., P.422.

(٤٣) و. هيود بيرنز، المصدر السابق، ص٢٧.
(٤٤) روبرت م. كروتن، المصدر السابق، ص٢٧٥-٢٧٦.
(٤٥) جيرار ديلودال، الفلسفة الامريكية، ترجمة جورج كتوره والهام الشعراني، بيروت، ٢٠٠٩، ص٤١٨.
(٤٦) روبرت م. كروتن، المصدر السابق، ص٢٧٦.
(٤٧) هوارد زن، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ترجمة شعبان مكاوي، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٥٢٦.

(48) " History of American Presidential Elections, 1789-2001, Vol. V, 1892-1908, Edited by Arthur M. Schlesinger, Philadelphia, 2002, P.2013.
(49) Ibid, P.2045.

(٥٠) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١١١.

(51) " The Annals of America, 1899", Open Letter to President Mckinley from Massachusetts Negroes, n.d., n.p., Document No. 68, PP.321-322.
(52) " National Party Platforms, 1840-1972", Compiled by Donald Bruce Johnson and Kirk H. Porter, Chicago, 1975, PP.134, 139.
(53) Walter La Feber, The Cambridge History of American Foreign Relations, Vol II, The American Search for Opportunity, 1865-1913, Cambridge University Press, London, 1998, P.51.
(54) David Blanke, The 1910s, Connecticut, 2002,PP.9-10; Charles E.Silberman, Op. Cit., P.129; Alan Brinkley, Op.Cit., P.738.

(٥٥) و. هيود بيرنز، المصدر السابق، ص٢٨؛ اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٢١.
(٥٦) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٣.
(٥٧) المصدر نفسه، ص١٢٣.
(58) " Significant Documents in United States History ", Vol.II, 1898- 1968, Edited by Richard B. Morris, New York, 1969, The Niagara Movement. The New Negro Millitancy, July 11-13, 1905, Document No.108, PP.23-25; " The Annals of America ", Vol. 13, 1905-1915, The Progressive Era, Chicago, 1968, Principles of Niagara Movement, Document No.8, PP.27-29.

(٥٩) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٥١.
(٦٠) المصدر نفسه، ص١٢٥- ١٢٦.
(61) Charles E.Silberman, Op. Cit., P.130.

(٦٢) نسبة الى عضو في منظمة ظهرت في الجنوب في أواخر العام ١٨٦٥ باسم " كو كلاكس كلان "(**Ku Klux Klan**)، وتبنت أساليب وحشية وقاسية في التعامل مع الزنوج المعتوقين من ربقة العبودية، بما فيها الجلد والحرق والشنق. ينظر:=

=U.S.Senate, Report of the Joint Select Committee to Inquir into the Condition of Affairs in the Late Insurrectionary States Vol.1, Government Printing Office, Washington, 1872.

(٦٣) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٣٤- ١٣٩.
(٦٤) المصدر نفسه، ص١٣٩-١٤٣.
(٦٥) المصدر نفسه، ص١٤٤-١٤٦.

(66) " Introduction to American Studies ", Edited by Malcolm Bradburry and Howard Temperly, New York, 1981, P.161.
(67) " National Party Platforms …", PP.148-150, 160.

(٦٨) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٤٨-١٤٩.
(٦٩) منظمة عملت في اطار حركة الحقوق المدنية، وحصرت نشاطها في الجوانب الاقتصادية والدينية والاجتماعية، حتى إنها عُدّت المنظمة الأكثر بعدا عن السياسة والعنف، فحرمت على أعضائها العمل في السياسة أو التورط في الصراعات الحزبية. ينظر:
سعد الدين خضر، منظمات الزنوج وحركاتهم في الولايات المتحدة، بغداد، ١٩٧١، ص١١.
(٧٠) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٤٩- ١٥٠.
(٧١) روبرت م. كروندن، المصدر السابق، ص٢٧٦.
(٧٢) هوارد زن، المصدر السابق، ص٥٢٦.

(73) " Introduction…", P.161; Charles E.Silberman, Op. Cit., P.130;
اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧.
(٧٤) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٣٤.
(75) Charles E.Silberman, Op. Cit., P.130.
(76) Ibid, P.130;
اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٥١.
(٧٧) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٥١-١٥٢.
(٧٨) المصدر نفسه، ص١٥٣؛
Charles E.Silberman, Op. Cit., P.130.
(٧٩) اليوت م. ردفيك، المصدر السابق، ص١٥١، ١٥٣.
(٨٠) و. هـ. بيرنز، المصدر السابق، ص٢٨.
(٨١) المصدر نفسه، ص٢٨.

المصادر:

أ- **الوثائق المنشورة**

- "دستور الولايات المتحدة ووثائق تاريخية اخرى"، مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات والتبادل التجاري، القاهرة، ١٩٥١.
- " Documentary History of Reconstrction, Political, Military, Social, Religious, Educational and Industrial, 1865-1906, Selected and Edited by Walter L. Fleming, New York, 1966.
- " Historical Statistics of the United States. Colonial Times to 1970 ", Part 1, U.S.Department of Commerce, Bureau of the Census, Washington, D.C., 1975.

- " National Party Platforms, 1840-1972", Compiled by Donald Bruce Johnson and Kirk H. Porter, Chicago, 1975.
- " Significant Documents in United States History ", Vol.II, 1898- 1968, Edited by Richard B. Morris, New York, 1969" The Annals of America ", Vol. 13, 1905-1915, The Progressive Era, Chicago, 1968.
- " Speechs and Documents in American History ", Vol. III, 1865-1913, Edited by Robert Birley, New York, 1951.
- "The Annals of America", Vol. 12, 1895-1904, Populism, Imperialism and Reform, Chicago, 1968.
- U.S.Senate, Report of the Joint Select Committee to Inquir into the Condition of Affairs in the Late Insurrectionary States Vol.1, Government Printing Office, Washington, 1872.

ب -الرسائل والأطاريح الجامعية

- ميثاق شيال زوره، الحرب الاسبانية- الامريكية ١٨٩٨-١٩٠٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد- جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

ت- الكتب العربية والمعربة

(١) إريك لنكولن، المسلمون الزنوج في أمريكا، ترجمة عمر الديراوي، بيروت، ١٩٦٤.
(٢) اميل هوبنر، النظام السياسي في الولايات المتحدة الامريكية، ترجمة عدنان عباس علي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٩.
(٣) اينا كورين براون، تاريخ الزنوج في أمريكا، ترجمة م. عيسى، القاهرة، ١٩٥٧.
(٤) اليوت م. ردفيك، وليم ادوارد دوبوا. دراسة في قيادة جماعة الأقلية، ترجمة فاروق عبد القادر، القاهرة، ١٩٦٥.
(٥) جيرار ديلودال، الفلسفة الامريكية، ترجمة جورج كتوره والهام الشعراني، بيروت، ٢٠٠٩.
(٦) حمدي حافظ، الملونون في الولايات المتحدة الأمريكية، د.م، د.ت.
(٧) د. و. بروجان، الشخصية الأمريكية. تكوينها ومقوماتها، ترجمة زهدي جار الله، بيروت- نيويورك، ١٩٦٤.
(٨) روبرت م. كروندن، موجز تاريخ الثقافة الأمريكية، ترجمة مازن حماد، عمان، ١٩٩٥.
(٩) ستوكلي كارمايكل وشارلز ف. هاملتون، سياسة التحرير في أمريكا، ترجمة ناجي علوش، بيروت، ١٩٦٧؛ سعد الدين خضر، منظمات الزنوج وحركاتهم في الولايات المتحدة، بغداد، ١٩٧١.
(١٠) سمير التنير، أمريكا من الداخل. حروب من أجل النفط، بيروت، ٢٠١٠.
(١١) فردريك لويس آلن، التطور الكبير. نصف قرن من الحياة الأمريكية، ترجمة عبد المنعم البيه، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٦.
(١٢) فلاديمير بوزنر، .U.S.A بلاد الحريات المزيفة، ترجمة عبد الله شعيتو، بيروت، ١٩٥٢.
(١٣) ماكس ليرنر، أمريكا كحضارة. الفكر والحياة في الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء الثاني، ترجمة راشد البراوي، القاهرة، ١٩٦٦.
(١٤) سعد الدين خضر، منظمات الزنوج وحركاتهم في الولايات المتحدة، بغداد، ١٩٧١.
(١٥) هاربيت بيتشر ستاو، كوخ العم توم، دار أسامة، دمشق، ٢٠٠٦.
(١٦) هوارد زن، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ترجمة شعبان مكاوي، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٥.
(١٧) هيود بيرنز، أصوات احتجاج الزنوج في أمريكا، ترجمة محمد سعيد النعناعي، القاهرة، ١٩٦٨.

ث – الكتب الأجنبية

(82) Alan Brinkley, American History . A Survey, Vol. II, Since 1865, Tenth Edition, New York, 1999.
(83) Booker T.Washington,Up from Slavery, New York, 1986.

(84) Charles E.Silberman, Crisis in Black and White, New York 1964.
(85) David Blanke, The 1910s, Connecticut, 2002.
(86) Dennis J.Palumbo, American Politics, New York, 1973.
(87) Henry N.Drewry and Thomas H. O'Conor, America is, Ohio, 1987.
(88) " History of American Presidential Elections, 1789-2001, Vol. V, 1892-1908, Edited by Arthur M. Schlesinger, Philadelphia, 2002.
(89) " Introduction to American Studies ", Edited by Malcolm Bradburry and Howard Temperly, New York, 1981.
(90) James West Davidson and Others, Nation of Nations, A Concise Narrative of the American Republic, Fourth Edition, New York, 2002.
(91) Walter La Feber, The Cambridge History of American Foreign Relations, Vol II, The American Search for Opportunity, 1865-1913, Cambridge University Press, London, 1998.

"Niagara Movement" in the United States of America: Its Preliminaries, Origin, and Collapse Factors, 1895-1910

Asst. Prof. Dr. Kareem Subuh Atiyah
College of Education (Ibn Rushed)/Department of History

Abstract:

The Negro minority in the United States is associated with social injustice, political deprivation, and economic oppresion. Its members felt that they are second-class citizens, and that the acceptance of such status will lead to the continual oppresion of the Whites upon them. As a result, the educated community adopted a process to put a framework to their opposition to the former's injustice. This organised framework is exemplified in the "Niagara Movement," which is regarded as the first national organisation for Negros. The topic of this study is chosen due to its historical and political significance.

The study consists of an introduction and five sections. The first section addresses the preliminaries and the factors of the Movement establishment. It also deals with the conditions of the Blacks, and the emergence of some of the leaders among them, whether those who made negotiations with the Whites, or those who rejected the bad conditions of the Blacks and sought to change them through establishing the Movement. The second section studies the Movement establishment conference, and the objectives to be achieved. While the third section examines the Movement numerous activities and the most important factors of its vulnerability. The fourth section includes the subjective and objective factors that led to the the Movement collapse . The final section contains an assessment to the Movement that shows its pros and cons according to the analytical historical method of research.